عن عيسى عليه السلام
ونزوله ليكسر الصليب ويقتل الخنزير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

١ — التوفيق بين الحديث الوارد في صحيح مسلم وغيره من الأحاديث الثابتة في أن عيسى عليه السلام سينزل من السماء ليقتل الخنزير ويكسر الصليب، وبين الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وكقوله تعالى: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة: ١١٧]، وكقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾ [آل عمران: ٥٥].

من المعلوم أن نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وكونه هو عيسى بن

مريم النبي بعينه مما صدعت به النصوص القرآنية، وتواترت فيه الأحاديث النبوية، وأجمعت عليه الأمة من لدن عهد النبي الكريم ﷺ إلى يومنا هذا بحيث لا يسعه التأويل، ولا يسع فيه القول والقيل. والتواتر في أحاديث نزول عيسى عليه السلام تواتر معنوي حيث تشاركت أحاديث كثيرة جداً في التصريح بنزوله، وحين ينزل عليه السلام فهو باق على نبوته السابقة –كما قاله أهل العلم– لم يعزل عنها بحال، لكنه حين نزوله لا يتعبد بها لنسخها في حقه وحق غيره بشريعة محمد ﷺ، وتكليفه بهذه الشريعة أصلاً وفرعاً، فلا يكون إليه عليه السلام وحيٌ ولا نصبُ أحكام، بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ، وحاكماً من حكام ملته بين أمته بما علمه في السماء قبل نزوله من شريعته ﷺ كما في بعض الآثار.

يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]: فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده.

كما أن الجمع بين الآيات التي مرت والأحاديث التي تثبت نزول عيسى عليه السلام يقتضي بأن يكون معنى التوفي قبض الله لرسوله عيسى عليه السلام من الأرض، ورفعه إليه حيا، وتخليصه بذلك من الذين كفروا؛ جمعاً بين

نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الدالة على رفعه حيا، وعلى نزوله آخر الزمان، وعلى إيمان أهب الكتاب جميعاً وغيرهم به، فيكون معنى التوفي القبض.

نقل ذلك ابن جرير في تفسيره عن جماعة من السلف واختاره ورجحه على ما سواه، وذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فقد قال، بعد أن ذكر الأقوال في معنى التوفي: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض، وأرفعك إلي؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويكسر الصليب... الحديث. وعلى هذا المعنى يكون معنى الآية: إني قابضك من عالم الأرض إلى عالم السماء وأنت حي ورافعك إلي، ومن هذا المعنى قول العرب توفيت مالي من فلان؛ أي قبضته كله وافياً.

وقيل: إن المراد بذلك وفاة النوم لأن النوم يسمى وفاة، وقد دلت الأدلة على عدم موته عليه السلام فوجب حمل الآية على وفاة النوم جمعاً بين الأدلة كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر: ٤٢].

وأما تفسير التوفي بالإماتة فهو قول ضعيف مرجوح لا يزيد عن كونه احتمالاً، وهو مخالف لما صح عن السلف من تفسيره بقبض الله رسوله عيسى بن مريم عليه السلام من الأرض ورفعه إليه حيا. وعلى فرض صحة ذلك التفسير فالمراد به التوفي الذي يكون بعد نزوله في آخر الزمان، فيكون ذكره في الآية قبل الرفع من باب المقدم، ومعناه التأخير؛ لأن الواو لا تقتضي الترتيب كما نبه عليه أهل العلم.

٢ – ومن التوفيق أيضاً بين ما ورد في نزول عيسى بن مريم وبين قوله ﷺ: «لا نبي بعدي» وقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وغير ذلك من أمثالها.

هذه تبين أنه لا يجوز أن يتوهم أن عيسى عليه السلام نبينا بشريعة متجددة غير شريعة نبينا محمد ﷺ، بل إذا نزل عليه السلام فإنما يكون من أتباع محمد ﷺ كما أخبر بذلك، حيث قال لعمر: «لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي». فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها، إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل، كما دلت على ذلك الآيات الصريحة من كتاب الله الكريم والأحاديث الصحيحة من سنته ﷺ.

٣ – من الأدلة على نزول عيسى عليه السلام ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من أنه عليه السلام ينزل في آخر الزمان حكماً مقسطاً فيقتل مسيح

الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام. وهي أحاديث متواترة مقطوع بصحتها عن رسول الله ﷺ ومنها:

عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟!» رواه البخاري ومسلم.

والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة ومتواترة.

ومعنى ينزل: «حاكماً عدلاً»، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: والمعنى أن ينزل حاكماً بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لم تنسخ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكماً من حكام هذه الأمة.

ومعنى: «يكسر الصليب» أي: يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه.

ومعنى: «يقتل الخنزير» أي: يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه

توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى عليه السلام، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته. وهذا كله مما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة المتواترة، وهو من مهمات نزول عيسى عليه السلام.

وقد ورد أن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل ويصلي خلف المهدي، ويعترف بإمارة المهدي. فإذا قيل له: صلِّ، قال: لا، وإن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة. رواه مسلم في كتاب الإيمان.

وأيضاً فقد ورد أن المهدي يلتفت وقد نزل عيسى كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صلِّ بالناس، فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك؟ فيصلي خلف رجل من ولدي» أخرجه الطبراني في معجمه وأبو نعيم في مناقب المهدي.

هذا، والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

